مجلة أبحاث البصرة (العلوم الإنسانية) المجلد : ٣٦ ، العدد: ٢ السنة : ٢٠١١ ،ص١٤٥-١٧١

الإيثار في عصر الرسالة

أ٠م٠د٠شكري ناصر عبد الحسن
جامعة البصرة. كلية التربية.قسم التاريخ

الخلاصة

يـاتي هـذا البحـث كمحاولـة لتسـليط الضـوء علـى جانـب مهـم مـن جوانـب الاخـلاق التـي عاشـها المسلمون في ظل حكومة الرسول الاعظم (ص) وهو جانب الايثار ، وماله من اهمية بالغة في عصرنا هذا والعصور اللاحقة وذلك لما تعرض ويتعرض له المسلمون من مشكلات كبيرة ، وما يواجهونه من تحديات جسيمة تتطلب منهم الالتفات الى هكذا امور منطلقة من اعظم شخصية عرفتها الانسانية ، وتراث اعظم دولة عرفها التاريخ على مدى عصوره .

وقد تناول البحث معنى الايثار لغة واصطلاحاً ، وتتبع الايات القرانية التي جاءت متضمنة مفردة الايثار او احدى مشتقاتها ، ثم تناول الشروط التي اشترطتها الشريعة لتحقق الايثار، وبعد ذلك تناول اهم مظاهر الايثار التي شهدها عصر الرسالة والتي تمثلت بـ الإيثار بالمال نقداً او عيناً، والايثار بـ النفس الذي انقسم الى قسمين رئيسين هما: الايثار بـ النفس من اجل الرسول (ص) الذي تمثل بـ ايثار الصحابة (رض) بأنفسهم من اجله (ص) ، والايثار بالنفس من اجل العقيدة ونصرة الدين .

المقدمة

حظيت الاخلاق الكريمة الفاضلة بإهتمام ورعاية كبيرة في الشريعة الاسلامية ، كونها المنطلق الاول والاساس الذي تبنى عليه كل السلوكيات الاجتماعية في المجتمع الاسلامي للوصول بهذا المجتمع الى مستويات الرقي والتطور، ولذا نجد الاسلام قد حرص حرصا بالغاً على تاكيد مكارم الاخلاق التي كانت عند العرب قبل بعثة النبي (ص) لانه وجد فيها اخلاقاً لا تتنافى مع دعوة الاسلام بضرورة العمل بمكارم الاخلاق ، ولم يقف نفي الاسلام للعبادة التي كانوا عليها عائقا امام قبول وتثبيت مكارم الاخلاق التي كانت عندهم ، وهذا ما يُؤثر عن النبي الاعظم (ص) " انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق " (مالك، الموطأ، ٢/ ٩٠٤؛ ابن ابي شيبة، المصنف، ٧/٤٤٠)، ومن هنا اصبحت مكارم الاخلاق تقف جنباً الى جنب مع احكام الشريعة والعقائد الاسلامية كعوامل اساسية تتبين من خلالها شخصية الانسان المسلم من الايمان والتقوى والورع .

وفضلاً عن ذلك فان مكارم الاخلاق عامل مهم من عوامل زيادة تماسك المجتمع وتفاعله مع بعضه كونه يمثل حالة من حالات الاخذ والعطاء بين الفرد واقرانه . ومن هنا لمسنا ومن خلال الروايات التاريخية في عصر الرسالة مواقف كثيرة ومتميزة من الايثار التي سادت المجتمع الاسلامي انذاك ، خاصة مع نزول الايات القرانية واحاديث الرسول الاعظم (ص) التي دعت وشجعت المسلمين الى ضرورة التحلي بهذا الخلق السامي والرفيع ، خاصة مع طبيعة الظروف العصيبة التي مر بها المسلمون ، واصبحت ضرورة ملحة لايجاد حالة من التعاون والتكاتف بينهم لتجاوز هذه الظروف .

ويأتي هذا البحث كمحاولة لتسليط الضوء على هذا الجانب المهم من جوانب الاخلاق التي عاشها المسلمون في ظل حكومة الرسول الاعظم (ص) ، وماله من اهمية بالغة في عصرنا هذا والعصور اللاحقة وذلك لما تعرض ويتعرض له المسلمون من مشكلات كبيرة ، وما يواجهونه من تحديات جسيمة تتطلب منهم الالتفات الى هكذا امور منطلقة من اعظم شخصية عرفتها الانسانية ، وتراث اعظم دولة عرفها التاريخ على مدى عصوره .

وقد تناول البحث معنى الايثار لغة واصطلاحاً ، وتتبع الايات القرانية التي جاءت متضمنة مفردة الايثار او احدى مشتقاتها ، ثم تناول الشروط التي اشترطتها الشريعة لتحقق الايثار، وبعد ذلك تناول اهم مظاهر الايثار التي شهدها عصر الرسالة والتي تمثلت بـ الإيثار بالمال نقداً او عيناً، والايثار بـ النفس الذي انقسم الى قسمين رئيسين هما: الايثار بـ النفس من اجل الرسول (ص) الذي تمثل بـ ايثار الصحابة (رض) بأنفسهم من اجله (ص) ، والايثار بالنفس من اجل العقيدة ونصرة الدين .

* معنى الإيثار

االايثار لغة : من آثره يؤثره اثاراً فضله ، وآثرتك اثاراً فضلتك.[١]
وآثره على نفسه من الإيثار أي التفضيل ، وآثره بالمد فضله .[٢] ويؤثرون على انفسهم ،أي يقدمون على انفسهم ، من قولهم آثره على نفسه أي قدمه وفضله .[٣]

اما اصطلاحاً : فهو" ان يقدم غيره على نفسه في النفع له والدفع عنه ،وهو النهاية في الاخوة ".[٤] وهو ايضاً تفضيل الغير على النفس.[٥] وهو عكس الاستئثار الذي يعني تفرد الانسان بالشيئ دون غيره من الناس .[٦]

وقال ابن ابي الحديد المعتزلي ان اصل الايثار " ان تقدم غيرك على نفسك في منفعة انت قادر على الاختصاص بها وهو في هذا الموضع مجاز مستحسن " .[٧]

والفرق بين الايثار والاختيار :" ان الايثار هو الاختيار المقدم والشاهد قوله تعالى: {قَالُواْ تَاللّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ } [٨] ، أي قدم اختيارك علينا وذلك أنهم كانوا مختارين عند الله تعالى لانهم كانوا ابناء انبياء ... وقال تعالى : {وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ }[٩] ،أي اخترنا ارسالهم ،وتقول في الفاعل مختار لكذا وفي المفعول مختار من كذا ، وعندنا ان قوله تعالى(آثَرَكَ اللّهُ عَلَيْنَا) معناه انه فضلك علينا ، وانت من اهل الاثرة عندي أي ممن افضله على غيره بتاثير الخير والنفع عنده ، واخترتك اخذتك للخير الذي في نفسك ولهذا يقال اثرتك بهذا الثوب وهذا الدينار ولا يقال اخترتك به وإنما يقال اخترتك لهذا الامر ، فالفرق بين الايثار والاختيار بيّن من هذا الوجه ". [١٠]

اما في القران الكريم فقط جاء معنى الايثار باكثرمن لفظ واريد به معان كثيرة وكالاتي :

- يؤثر : {فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ } [١١]

ويراد بها : ما هذا الذي يقوله محمد إلا سحر يُنْقل عن الأولين . [١٢]

- آثر : {وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا } [١٣]

أي : انهمك فيها ولم يستعد للاخرة بالعبادة وتهذيب النفس . [١٤]

- آثرك : {قَالُواْ تَاللّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ } [١٥]

ومعنى ذلك : قالوا: تالله لقد فَضَّلك الله علينا وأعزَّك بالعلم والحلم والفضل، وإن كنا لخاطئين بما فعلناه عمدًا بك وبأخيك. [١٦]

- يؤثرون : {وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ }[١٧]

والذين استوطنوا "المدينة"، وآمنوا من قبل هجرة المهاجرين –وهم الأنصار– يحبون المهاجرين، ويواسونهم بأموالهم، ولا يجدون في أنفسهم حسدًا لهم مما أُعْطوا من مال الفيء وغيره، ويُقَدِّمون

المهاجرين وذوي الحاجة على أنفسهم، ولو كان بهم حاجة وفقر، ومن سَلِم من البخل ومَنْعِ الفضل من المال فأولئك هم الفائزون الذين فازوا بمطلوبهم.[١٨]

– تؤثرون : {بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا } [١٩]

واريد بها : إنكم –أيها الناس– تفضّلون زينة الحياة الدنيا على نعيم الآخرة.[٢٠]

– نؤثرك : {قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا } [٢١]

(قالوا لن نؤثرك) نختارك (على ما جاءنا من البينات) الدالة على صدق موسى (والذي فطرنا) خلقنا قسم أو عطف على ما (فاقض ما أنت قاض) أي إصنع ما قلته (إنما تقضي هذه الحياة الدنيا) النصب على الاتساع أي فيها وتجزى عليه في الآخرة .[٢٢]

* شروط الايثار

كما اشرنا سابقاً ان الايثار من الابعاد الاخلاقية التي دعت لها الشريعة الاسلامية ، ولكن هذا الدعوة لم تكن دعوة مفتوحة بل ان الشارع المقدس (القران ،السنة) قد قيدها بشروط حتى لاتفسر او تفهم بشكل خاطئ قد لايتفق مع الاهداف والغايات التي شرع لاجلها هذا البعد الاخلاقي .هذا فضلاً عن ان الاسلام – لكونه جاء ليكون دستوراً للحياة – فقد وضع قوانين خاصة لكل جانب من جوانبه وبه يستطيع ان يحقق نجاحاً ملحوظاً في قيادته للمجتمع .ومن هنا وضعت مجموعة من الشرو ط لتنظيم العمل به .

فقد منعت الشريعةالفرد المسلم من الايثار بالمال اذا كان يؤدي بصاحبة الى الدين او الحاجة، الا بما فضل عن النفقة والدَين استناداً الى الرواية عن جابر الانصاري قال " كنا عند النبي (ص) اذ جاء رجل بمثل بيضة من ذهب ، فقا ل: يا رسول الله أصبت هذه من معدن فخذها فهي صدقة ، ما املك غيرها ، فاعرض عنه النبي (ص) ... فقال النبي(ص) : ياتي احدكم بما يملك فيقول هذه صدقة ، ثم يقعد يستكف الناس ، خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى " . [٢٣]

فقد نبه النبي(ص) على المعنى الذي تكره به الصدقة بجميع ماله وهو ان يستكف الناس ، وهو ان يتعرض للصدقة ، وفي هذا الاطار يروى ان النبي (ص) اعطى رجلاً ثوبين من صدقة ثم حث الناس على الصدقة فطرح الرجل أحد ثوبيه ، فقال رسول الله (ص) :" الم تروا الى هذا الرجل بهيئة بذة فاعطيته ثوبين ثم قلت تصدقوا فطرح احد ثوبيه ،خذ ثوبك وانتهره " .[٢٤]

والامر نفسه ينطبق على المضطر للطعام ، فقد عد العلماء[٢٥] المضطر الذي معه طعام فيؤثربه غيره من مصاديق قوله تعالى {وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ } .

وفي رواية اخرى ان رسول الله (ص) قال في رجل انصاري اعتق عند موته خمسة او ستة من الرقيق ولم يكن يملك غيرهم وله اولاد صغار : " لو اعلمتموني امره ما تركتكم تدفنونه مع المسلمين بترك صبيته

صغاراً يتكففون الناس " .[٢٦] .وذلك لأن الايثار لايصح امام النفقة على العيال فهي اوجب واعظم اجراً ، قال (ص) :" خمس تمرات او خمس قرص او دنانير او دراهم يكلكها الانسان وهو يريد ان يمضيها فافضلها ما انفقها الانسان على والديه ،ثم الثانية على نفسه وعياله ،ثم الثالثة على قرابته الفقراء، وثم الرابعة على جيرانه الفقراء ،ثم الخامسة في سبيل الله ،وهو اخسها اجراً " .[٢٧] ومن هنا ورد استحباب الايثار على النفس ولو بالقليل لغير صاحب العيال . [٢٨]

وكرّه العلماء ايضاً الايثار بمحل الفضيلة كالقيام من الصف الاول الى الصف الثاني في الصلاة ، لان الايثار وسلوك طرائق الاداب لا يليق في العبادات والفضائل ، بل المعهود انه في حظوظ النفس وامور الدنيا ، ومن آثر بحظه في امر من امور الاخرة فهو من الزاهدين في الثواب .[٢٩]

اذن فأنه يمكن تلخيص الشروط التي وضعها الرسول الاكرم(ص) من اجل تقنين هذا المفهوم والتي يتحقق بموجبها المعنى الحقيقي والمفهوم الكامل للايثار بالآتي :

١- ان لا يؤدي الايثار الى مفسدة بالمستوى المعيشي للفرد المسلم فينتقل به الحال من الاستقرار المعيشي الى حال العوز والفقر والحاجة .

٢- ان يكون متمكناً (اقتصادياً) من القيام بالايثار ، لا ان يكون مفتقراً في نفسه ،محتاجاً الى مساعدة الاخرين ، فمع ذلك الوضع لايصح منه الايثار .

٣- منع الرسول الاعظم (ص) صاحب العيال من ايثار الاخرين على عياله ، اذ ان الانفاق على العيال وسد حاجاتهم وتلبية متطلبات حياتهم هو امر قد اوجبته الشريعة المقدسة على صاحب العيال ،وهو افضل كون الايثار من الامور التي دعت له الشريعة استحباباً .

اذن فان الايثار كبعد اخلاقي دعا اليه المشرع الاسلامي (الرسول (ص)) من اجل ايجاد حالة من التوازن الاجتماعي بين فئات المجتمع المختلفة وهو واحد من الاساليب التي اريد منها تذويب الفوارق الطبقية بين الاغنياء والفقراء ، ولذلك لاحظنا من خلال الشروط التي وضعت لتحقق الايثار ان لايؤدي الى حالة من الفقر ،ومن هنا اصبح واضحاً ما الاهمية التي يحتلها الايثار في بناء مجتمع اسلامي متماسك ومتساوٍ ومتوازن وخال من جميع مظاهر التمايز الطبقي .

* مظاهر الايثار

الايثار بوصفه ظاهرةً اجتماعية اخذ جملة من الابعاد والمظاهر التي عبرت بمجملها عن حالة التماسك التي كان عليها المجتمع الاسلامي في زمن الرسول الاعظم (ص) ، وهي في الوقت ذاته عبرت عن قيادته (ص) الفذة وتمكنه من تغيير اخلاقيات ذلك المجتمع الذي كانت تسوده اخلاقيات الانا والتكبر والفردية واللا شعور او اهتمام حقيقي بالعنصر الجماعي ، بل العكس تماماً اذ كان المتنفذون يستغلون حاجة الفقراء لمصلحتهم الشخصية باستغلالهم سواء بالعمل او بالمال . ولكن الاسلام العظيم عندما جاء استطاع ان يخضع كل هذه الاخلاقيات الى الرؤية الاسلامية فاصبح خُلق تغليب المصلحة الجماعية اساس العلاقة بين افراده . ولذلك اتضح لنا بان الايثار قد انقسم الى مظهرين اساسيين هما :

١ – الايثار بالمال

يعد العامل الاقتصادي (الاموال) من العوامل المهمة التي استند عليها الرسول الاكرم (ص)في دعوته ، ولذلك نجد ان المشرع الاسلامي اكد تاكيداً خاصاً على (الجهاد ، الانفاق ، الايثار) بالاموال لانه في واقع الحال مقدمة مهمة للمرحلة القادمة من الايثار الا وهي مرحلة الايثار بالنفس ، وهذا ما يمكن ملاحظته من خلال الطرح القراني لمراحل الجهاد في سبيل الله وكما يظهر في جملة من الايات القرانية ،كما في قوله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ... } [٣٠] ، وقوله تعالى {الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ } [٣١]

وقوله تعالى{انْفِرُواْ خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ} [٣٢] ، وكذلك قوله تعالى {لاَ يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَن يُجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ } [٣٣] ، وقوله تعالى {فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلاَفَ رَسُولِ اللّهِ وَكَرِهُواْ أَن يُجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَقَالُواْ لاَ تَنفِرُواْ فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّاً لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ } [٣٤] ، وقوله تعالى {لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ جَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُوْلَـئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } [٣٥] ، وقوله تعالى : {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ } [٣٦]

ولذلك وجدنا المسلمين يتسابقون للجهاد باموالهم من اجل نصرة الدين، فكانت اموال السيدة خديجة خير معين للدعوة الاسلامية اذ انفقت اموالها في سبيلها ، فعندما تزوجها الرسول (ص) وضعت اموالها تحت تصرفه ، اذ ذكران بعض اهل مكة بداوا يتكلمون في انها تزوجت من رجل فقير ، فاقدمت على دعوة رؤساءهم واشهدتهم باعطاء جميع ما تملكه من اموال للرسول محمد(ص) الامر الذي اثار عجب الناس [٣٧] و تحدت السيدة خديجة جميع الفوارق الطبقية والعادات والاعراف التي كانت متعارفة في اوساط المجتمع المكي انذاك بالرغم من اقدام نسوة اهل مكة على مقاطعتها اذ كن لا يدخلن اليها ولا يسلمن عليها ويمنعن أي امراة اذا ما ارادت ذلك .[٣٨]

وكما ورد في الاخبار ان الايثار انما كان في بداية الاسلام وذلك لكثرة الفقراء المنتمين الى الدعوة الاسلامية ،وضعف الامكانيات الاقتصادية لها [٣٩] ، فقد اخذ الرسول الاعظم (ص) على عاتقه عملية الانفاق على المسلمين مستفيداً من اموال السيدة خديجة ، خاصة اؤلئك الذين فقدوا اموالهم وامتيازاتهم التجارية ، فاخرجت هذه الاموال الرسول (ص)من حالة العيلة (الحاجة) الى حالة الغنى كما اشار الى ذلك القران الكريم في قوله تعالى {وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى } [٤٠]

كما اتخذ ايثارها باموالها جانبا اخر وهو الانفاق على المسلمين المهاجرين الى الحبشة ، اذ ان النبي(ص) لما امر اصحابه بالهجرة الى الحبشة كانت هناك حاجة الى الاموال اللازمة لقيامها ، فكان الرسول (ص) ينفق عليهم من هذه الاموال .[٤١]

ومن مصاديق الايثار بالمال ماذكرته المصادر التاريخية من ايثار الانصار وفي هذا الجانب نذكر ايضاً ما ذكره ابن عباس " لما قدم النبي (ص) المدينة كانت تنوبه نوائب وحقوق وليس بيده سعة لذلك فقال الانصار : ان هذا الرجل قد هدانا الله به وهو ابن اختنا وتنوبه نوائب وحقوق وليس لديه سعة لذلك فاجمعوا اموالهم مما لا يضرهم فاتوا به الى رسول الله وقالوا له : يا رسول الله انك ابن اختنا وقد هدانا الله على يديك وتنوبك نوائب وحقوق وليس عندك سعة فراينا ان نجمع لك من اموالنا فناتيك به لتستعين به على ما ينوبك " [٤٢] والذي يلاحظ من خلال هذه النصوص انه وبالرغم من حداثة الانصار بالاسلام الا اننا وجدناهم قد لاحظوا حالة الحاجة والعوز التي كان عليها الرسول (ص) بعد ان فقد كثيراً من امواله نتيجة الهجرة من مكة الى المدينة فانبروا وبدافع نصرة الاسلام وتقوية مركز القيادة الاسلامية المتمثلة بالرسول الاعظم (ص) ،الى جمع الاموال ودفعها اليه ، وهذا ما يعبر وبشكل صريح عن حالة الايثار الكبيرة التي كانت لدى الانصار ، وكيف انهم قد فضلوا وقدموا مصلحة الاسلام على مصالحهم الشخصية ، ولم يتوقف الامر عند هذا الحد بل سنجدهم يؤثرون اخوانهم المهاجرين بكثير من الجوانب كما سياتي لاحقاً .

كذلك ما كان من قيام بعض الصحابة بتقديم اموالهم من اجل اعانة الجيش الاسلامي في حروبه ضد الكافرين ، ومن ذلك ما كان في غزوة تبوك اذ كان الجيش متوجها الى غزو الروم ، اذ ذكر ابن هشام ان رسول الله (ص) قد امر اصحابه بالتهييء لغزو الروم ،وذلك في زمان عسرة الناس وشدة الحر والجدب في البلاد وحين طابت الثمار والناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم ويكرهون الشخوص على حال من الزمان الذي هم عليه ، وكثرة العدو الذي هم قاصدوه لذلك سميت بغزوة العسرة ، فانفق فيها عثمان بن عفان الف دينار .[٤٣] ، وكان رسول الله (ص) قد حض اهل الغنى على النفقة فانفقوا اموالاً كثيرة وقووا الضعفاء فقال رسول الله (ص) :" افضل صدقة جهد المقل " .[٤٤] .

كذلك ما كان من ابي بكر وعمربن الخطاب وبقية الصحابة (رض) ،اذ ذكر الواقدي انه لما حث الرسول الاكرم (ص) المسلمين على القتال والجهاد في سبيله ورغبهم فيه وامرهم بالصدقة جاءوا بصدقات كثيرة " فكان اول من حمل ابو بكر فجاء بماله اربعة الاف درهم، فقال له رسول الله (ص) هل ابقيت شيئاً لاهلك ؟ قال :ابقيت لهم الله ورسوله ، وجاء عمر بن الخطاب بنصف ماله ،وحمل العباس بن عبد المطلب الى رسول الله مالاً ، وحمل طلحة بن عبيد الله الى النبي مالاً ،وحمل عبد الرحمن بن عوف الى النبي مالا،... وتصدق عاصم بن عدي بتسعين وسقاً تمراً " [٤٥]

ومواقف الصحابة(رض) في انفاقهم للاموال جاءت في وقت كان المسلمون اشد ما يكونون حاجة اليها من اجل القيام بتحرك عسكري لنشر الاسلام خاصة وانها كانت تتجه نحو امبراطورية كبرى مما

يتطلب توفير كل مستلزمات المواجهة العسكرية ، وبالرغم من عدم نزول آيات قرانية تشير صراحة الى هذه المواقف الا اننا نجد الطبري قد حاول الربط بين ايات الانفاق وهذا الموقف كونها تقع ضمن الموضوع نفسه اذ يقول : " ان الله تعالى وعد المؤمنين الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله دون ان يصحب ذلك مناً ولا اذى وعدهم خيراً ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون كما جاء في قوله تعالى {الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ثُمَّ لاَ يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُواْ مَنّاً وَلاَ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ } [٤٦]، يعني ذكر ذلك ان المعطي ماله للمجاهدين في سبيل الله بالانفاق عليهم في حمولاتهم وغير ذلك من مؤنهم ثم لم يتبع نفقته التي انفقها عليهم مناً ولا اذى لهم، فامتنانه به عليهم بان يظهره لهم انه قد اصطنع اليهم بفعله او اعطائه الذي اعطاهموه تقوية لهم على الجهاد معروفاً ويبدي ذلك اما بلسان او فعل " [٤٧]

اما في جانب الايثار بالطعام ففي سيرة الرسول الاعظم(ص) كثيرمن المواقف التي اشارت الى تطبيقه (ص) لجانب الايثار بالطعام ، ففي روايةالسيدة عائشة " ما شبع رسول الله (ص) ثلاثة ايام متوالية حتى فارق الدنيا ،ولو شاء لشبع ولكنه يؤثر على نفسه" [٤٨] . وكان ايضاً كثيراً ما يدعو اهل بيته(ع) وازواجه(رض) الى اطعام المحتاجين ، ففي رواية ان رجل شكا اليه (ص) الجوع ، فبعث الى ازواجه(رض) فلم يجد عندهن الا الماء ،فاخبره علياً (ع) انه سيتولى امر هذا الجائع " فاتى فاطمة (ع) وسألها : ماعندك يابنت رسول الله(ص) ،فقالت :ماعندنا الا قوت الصبية لكنا نؤثر ضيفنا عليه... فقال (رسول الله ص) :ياامير المؤمنين لقد عجب الرب من فعلكم البارحة ، وقرأ (٤٩){ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ}. [٥٠]

وفي المعنى نفسه ذكر الميرزا النوري رواية اخرى في سبب نزول هذه الاية ، عن الصحابي انس بن مالك انه أُهدي لرجل من اصحاب رسول الله (ص) راس شاة مشوي وهو يعلم ان اخاه اكثر حاجة منه اليه فارسله له ،واخذ هذا الرأس يتداول بين سبعة من المحتاجين حتى رجع الى الاول كل يؤثر الاخرين على نفسه وحاجته.[٥١]

ومن هاتين الروايتين نلمس ان الحاجة الملحة التي كان عليها امير المؤمنين علي(ع) وعياله، حسب الرواية الاولى ،والاصحاب في الرواية الثانية ،لم تكن مبرراً لهم في ان يمتنعوا عن الايثار بما يملكون في سبيل الحصول على مرتبة عليا وشهادة من الله تعالى ورسوله(ص) كما صرحت به الاية القرانية {وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [٥٢]

ولا نريد ان نذهب بعيداً عن اجواء حركة الرسول (ص)في هذا المجال ،عندما نعيش اجواء احد مظاهر الايثار التي طبقها افراد المجتمع الاسلامي تقليداً لنبيهم وقائدهم النبي الاكرم(ص)، اذ يتجلى الايثار بالطعام باروع صوره عندما آثر اهل بيت النبي (ص) على انفسهم اطعام المسكين واليتيم والاسير ،وهذا ما جاء نصه في القران الكريم في قوله تعالى {وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً }[٥٣] ، اذ ذكر العلماء ان سورة الدهر نزلت بحق علي وفاطمة والحسن والحسين(ع) عندما كانوا صائمين

ثلاثة ايام. تقول الرواية: " أن الحسن والحسين مرضا فعادهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ناس معه فقالوا : يا أبا الحسن لو نذرت على ولدك فنذر على وفاطمة وفضة جارية لهما ان برآ مما بهما أن يصوموا ثلاثة أيام فشفيا وما معهم شئ فاستقرض علي من شمعون الخيبري اليهودي ثلاثة أصوع من شعير . فطحنت فاطمة صاعا واختبزت خمسة أقراص على عددهم فوضعوها بين أيديهم ليفطروا فوقف عليهم سائل فقال : السلام عليكم يا أهل بيت محمد مسكين من مساكين المسلمين أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة فأثروه وباتوا لم يذوقوا الا الماء وأصبحوا صياما فلما أمسوا ووضعوا الطعام بين أيديهم وقف عليهم يتيم فأثروه ووقف عليهم أسيرا في الثالثة ففعلوا مثل ذلك فلما أصبحوا أخذ علي(ع) بيد الحسن والحسين وأقبلوا الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلما أبصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع قال : ما أشد ما يسوءني ما أرى بكم فقام وانطلق معهم فرأى فاطمة عليها السلام في محرابها قد التصق ظهرها ببطنها وغارت عيناها فساءه ذلك فنزل جبرئيل عليه السلام وقال : خذها يا محمد هنأك الله في أهل بيتك فأقرأه السورة " [٥٤]

" أي إيثار أبلغ من هذا الايثار ، إنه ايثار ما قصد به إلا وجه الله الكريم ، فهبط أمين الوحي وهو يحمل المكافأة العظمى لاهل البيت والتقييم لايثارهم الخالد . . . إنها مكافأة لا توصف بكيف ولا تقدر بكم ، فهي المغفرة والرحمة والرضوان من الله ليس لها حد ، فقد {وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً ، مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْساً وَلَا زَمْهَرِيراً ، وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً ، وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ، قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيراً، وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْساً كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً] . إنه عطاء عظيم وجزيل فقد حباهم ربهم في الدار الآخرة من عظيم النعم والكرامات ، وأجزل لهم المزيد من مغفرته ورضوانه " [٥٥]

" ومما يزيد البرهان قوة تصدر الآية الشريفة بـ (أنما) التي هي من أدل أدوات الحصر كماهو في علم المعاني بالاضافة الى أن المولى عزوجل أبى الا أن يظهر نيتهم التي أخفوها له وحده عندما انزل بحقهم هذه الايات" [٥٦] .

ومن مجالات الايثار بالاموال الاخرى ما ذكرته المصادر من ايثار النبي (ص) بملابسه لامراة كانت قد سألته ذلك ،اذ روي ان امرأة بعثت ابنها الى رسول الله (ص)وقالت :" قل له ان امي تستكيك درعاً ،فان قال : حتى ياتينا شيئ ،فقل له: إنها تستكيك قميصك فاتاه فقال ما قالت له فنزع قميصه فدفعه اليه ...ويقال انه بقي في البيت اذ لم يجد شيئاًيلبسه .[٥٧]

كذلك ما ظهر من الانصار من مواقف بعد هجرة المسلمين الى المدينة، اذ ان كثيراً من المهاجرين كانوا في حال ضيق قبل الهجرة ثم هاجروا الى المدينة وكان اكثرهم كذلك فواساهم الانصار بالمنازل والمنائح .[٥٨] ولا يخفى ان دور الرسول(ص) كان كبيرا في ذلك ، من خلال مشروع المؤاخاة الذي اقامه بين المهاجرين والانصار اذ انه وثق العلاقة بين الطرفين فبدلاً من ان تقوم العلاقة على اساس الانتماء

الى القبيلة وغيرها من الاعتبارات الاخرى ،فان الرسول(ص) استطاع ان يبني اساس متين للعلاقة الروحية بينهم تمثلت باروع صورها في نظام المؤخاة.

وعلى اثر ذلك فقد اظهر الانصار اروع جوانب الايثار بان جعلوا المهاجرين اخوانهم في الماكل والملبس والمسكن والميراث ، فقال رسول الله (ص) للانصار " ان اخوانكم قد تركوا اموالهم واولادهم وخرجوا لكم ، فقال الانصار : اموالنا بيننا قطائع ، فقال رسول الله (ص) : او غير ذلك ،قالوا :ماذا يارسول الله ؟ قال : قوم لايعرفون العمل فتكفونهم وتقاسموهم الثمر ، قالوا نعم " [٥٩]

وهذا الصورة العظيمة من الايثار يسجلها الصحابي الجليل سعد بن الربيع ، فلما قدم عبد الرحمن بن عوف الى المدينة مهاجراً آخى رسول الله(ص) بينه وبين سعد بن الربيع الذي يعد من شخصيات الانصار المعروفة وكان احد نقباء ليلة العقبة [٦٠] فذهب سعد الى منزله فدعا بطعام فاكلا وبعدها بدأ يعرض عليه مجموعة من الامور التي تعبر عن عمق التضحية والايثار التي كان عليها الانصار، قال سعد: " لي امراتان وانت اخي في الله فانظر أي امراة لك فانزل عنها فتتزوجها ، قال :لا والله ،ثم قال سعد :هلم الى حديقتي اشاطركها ، فقال عبد الرحمن : لا بارك الله لك فيها وفي اهلك وفي مالك " [٦١]

ولم يتوقف الامر عند هذا المستوى من الايثار بل وصل الى مراحل اكبر من ذلك بكثير فتذكر الروايات ان رسول الله (ص)بعد ان غنم بني النضير دعا الانصار فاجتمع اليه الاوس والخزرج، فتكلم رسول الله (ص) " فحمد الله واثنى عليه بما هو اهله، ثم ذكر الانصار وما صنعوا للمهاجرين وانزالهم اياهم من منازلهم ، واثرتهم على انفسهم ، ثم قال : ان احببتم قسمت بينكم وبين المهاجرين مما افاء الله عليّ من بني النضير ، وكان المهاجرون على ما هم عليه من السكنى في مساكنكم واموالكم ، وان احببتم اعطيتهم وخرجوا من دوركم ، فتكلم سعد بن عبادة وسعد بن معاذ فقالا: يارسول الله بل تقسمه للمهاجرين ويكونون في دورنا كما كنا " [٦٢] ولقد اشار القران الكريم لموقف الانصار هذا بقوله تعالى :{وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } [٦٣]

وحقيقة فان الانسان يعجز ان يتصور ويستوعب عظيم هذه المواقف والتي تدل على الفناء الحقيقي لهذه الثلة المؤمنة التي وضعت نصب عينها مصلحة الاسلام اولا واخرا مهما كان حجم التضحيات ، ولابد ان يكون لمواقف الانصار هذه اثراً واضحاً في تثبيت وانتصار الاسلام اذ لولا هذا الايثار لما كان لدولة الاسلام ان تنهض بهذا المستوى ، ولما كان لها القدرة في الوقوف ومجابهة المشركين .

وقد اصبحت ظاهرة الشعور بالمسؤوليةالاجتماعية تجاه العناصر الفقيرة ظاهرة ملازمة عند الافراد الذين يرون في انفسهم انهم ملزمون بهذا الامر ، او ان انظار الفقراء دائماً ما تتجه نحوهم لانهم يرون فيهم الخير والايثار، وتعطينا الروايات التاريخية انطباعاً واضحاً لذلك في سيرة السيدة فاطمة الزهراء (ع) ، اذ كانت تشارك ابناء مجتمعها همومهم ومشكلاتهم وكانت خير معين للفقراء والمحتاجين والمساكين ،

ومما صدر عنها في هذا المجال " انها انتزعت قلادتها وتصدقت بها " [٦٤] فيما اشارت رواية اخرى الى تصدقها بسوارين لها حتى قال فيها رسول الله (ص) " فعلتها فداها ابوها– قالها ثلاثاً– وقال : ما لال محمد وللدنيا فانهم خلقوا الى الاخرة ، وخلقت الدنيا لغيرهم " . [٦٥]

٢ – الايثار بالنفس

يعد الايثار بالنفس من اعلى مراتب الايثار التي عبرت عن الدوافع الانسانية السامية ، وكما اتضح لدينا في الصفحات السابقة التي تناولت جانب الايثار بالمال بانه مرحلة متقدمة من الايثار استطاع الصحابة(رض) ان يعبروا عنها بكل ما استطاعوا من قدرات وامكانيات ، والذي يبدو ان هناك بعداً عندما وجدنا ان القران الكريم قدم الايثار بالاموال على الايثار بالنفس انما اراد بذلك اتباع الاسلوب التدريجي مع الفرد المسلم ، لان اقدامه على الايثار بالاموال التي تحتل مكانة كبيرة في نفس الانسان كما اشار الى ذلك القران الكريم : {زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ } [٦٦]، انما هو مقدمة وترويض للنفس على تقبل الامر الاصعب من جانب الايثار بالاموال وهو جانب الايثار(التضحية) بها .

ولقد سجل تاريخ الاسلام في عصر الرسالة مواقف كثيرة عن الايثار بالنفس سواء أكان ذلك الايثار بها من اجل الرسول (ص) أم من اجل العقيدة ، وهو في الحالتين يدخل ضمن عنوان واحد الدفاع عن الاسلام ونصرته . ولذلك سوف نتناول هاتين الحالتين بالدراسة لبيان هذه المواقف :

أ – الايثار بالنفس من اجل الرسول(ص) .

حفلت كتب التاريخ بجملة من المواقف التي عبرت عن اخلاقية الايثار قدمها الصحابة(رض) من اجل الرسول (ص) . واذا تتبعنا تلك الروايات التاريخية نجد انها تبدأ مع بداية الدعوة الاسلامية اذ المحاولات الكثيرة التي صدرت من قريش للنيل من شخص الرسول (ص) ، فكان الامر يتطلب من المسلمين ان يقفوا مدافعين عنه لدفع هذه الاخطار ، ولعل من الروايات المهمة التي تطلعنا بها المصادر الرواية التي تحدثت عن موقف ابي طالب عم النبي (ص) وذلك عندما كانت قريش قد فرضت عليهم حصارا ، وكانوا قد تحصنوا في شعب ابي طالب ، فكان يحرسه ليلاً ونهاراً ، وكان النبي (ص) اذا اخذ مضجعه ونامت العيون جاءه ابو طالب فأنهضه من مضجعه واضجع مكانه علياً .[٦٧]

وبهذا الموقف جسد ابو طالب مبدا الايثار اذ انه ولشدة حبه للرسول (ص) وحفاظا على دعوته وجدناه يقدم ابناءه الى مواضع الخطر مع ما يدور حولهم من خطر وتهديد من قبل قريش التي كانت تتربص بهم الدوائر بين الحين والاخر . ومع تطور مراحل الدعوة الاسلامية واتجاه العلاقة بين رسول الله(ص) من جهة والمشركين من جهة اخرى نحو التفكير بتصفيته جسديا ، نقف على موقف جديد وخطير من الايثار في الوقت نفسه ، الا وهو مبيت الامام علي بن ابي طالب (ع) على فراش النبي

(ص) ليلة الهجرة ، اذ ان قريشاً خططت الى قتل النبي (ص) بعد ان فشلت كل محاولاتها السابقة في ان توقف دعوته ، وبعد ان علم (ص) بهذه المؤامرة قرر الهجرة الى المدينة ، وكانت عليه بعض الامانات لاهل مكة فقرر ان يترك الامام علي (ع) في مكة ليؤدي عنه هذه الامانات بعد ان كان امره ان ينام في فراشه ليلة الهجرة ، " وقال له التف في بردى الحضرمي الاخضر واضطجع في مضجعي فإنه لا يضرك شئ ففعل فجاء فتيان قريش فجعلوا يرصدون الشخص وينتظرون قيامه فيثورون به وباتوا يحرسون عليا يحسبونه النبي صلى الله عليه وسلم فلما أصبحوا ثاروا إليه فلما رأوا عليا رد الله تعالى مكرهم فقالوا أين صاحبك هذا ؟ قال لا أدري " .[٦٨] وفي رواية " فلما استووا في البيت الذي انا فيه ناهضتهم بسيفي فدفعتهم عن نفسي بما قد علمه الله والله " . [٦٩] . وفي هذا الموقف نزلت الاية القرانية: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ وَاللّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ } [٧٠]

ان افضل ما يمكن قوله في هذا الموقف من الايثار هو ما قاله ابو حامد الغزالي : " لما بات علي رضي الله عنه على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم أوحى الله إلى جبرئيل وميكائيل : إني آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من الآخر فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة ؟ فاختار كلاهما الحياة فأحباها ! ! ! فأوحى الله إليهما : ألا كنتما مثل علي بن أبي طالب آخيت بينه وبين نبيي محمد صلى الله عليه وسلم فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة ! ! ! اهبطا إلى الارض فاحفظاه من عدوه . [فنزلا إلى الارض] فكان جبرئيل عليه السلام عند رجليه وميكائيل عند رأسه وجبرئيل ينادي : بخ بخ من مثلك يا ابن أبي طالب يباهي الله بك الملائكة ؟ ! ! ! وأنزل الله تعالى {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ وَاللّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ } [٧١]

وفي موضوع الهجرة نفسه تعطينا المصادر رواية اخرى عن الايثار وان كانت هذه الرواية قد ذكرت في مصادر متأخرة ولم نعثر عليها في مصادر السيرة الاولى : الا انها على فرض صحتها تعطي بعدا من ابعاد الايثار بالنفس من اجل الرسول (ص) اذ ذُكر : " لما أراد النبي صلى الله عليه واله وسلم أن يدخل(الغار) دخل أبو بكر قبله فلمس بيده مخافة أن يكون دابة أو حية أو عقرب يؤذي النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلما لم يجد شيئا قال لرسول الله ادخل " [٧٢]

كذلك اشارت المصادر الى موقف ابي طلحة البطولي في يوم احد فذكر ان " ابا طلحة يوم احد قد نشر كنانته بين يدي رسول الله (ص) ... وكان في كنانته خمسون سهماً فنشرها بين يدي رسول الله (ص) ثم جعل يصيح يارسول الله نفسي دونك ، فلم يزل يرمي بها سهماً سهماً ، وكان رسول الله (ص) يتطلع ليرى القوم . فيقول له أبو طلحة : لا تشرف يا رسول الله ! لا يصيبونك ! نحري دون نحرك ووقى بيده رسول الله صلى الله عليه وسلم فشلت ". [٧٣]

وفي رواية أنس : " أن أبا طلحة كان يرمى بين يدى النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد ، والنبى صلى الله عليه وسلم خلفه يترس به ، وكان راميا ، وكان إذا رمى رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم شخصه ينظر أين يقع سهمه ، ويرفع أبو طلحة صدره ويقول : هكذا ، بأبى أنت وأمى يارسول الله لا

يصيبك سهم ، نحرى دون نحرك . وكان أبو طلحة يسور نفسه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول : إنى جلد يا رسول الله ، فوجهني في حوائجك ومرني بما شئت " [٧٤]

ومما ذكر ايضاً من مواقف في هذا المجال هو موقف ابي دجانة الانصاري فقد ترس دون رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه ،و وقع النبل في ظهره ، وهو منحنٍ عليه ، حتى كثر فيه النبل .[٧٥]

كذلك الموقف البطولي لـ الصحابي الجليل مصعب بن عمير عندما آثر حياة الرسول (ص) على حياته وذلك في معركة احد ايضاً اذ ذكرت المصادر : ان أبي بن خلف وهو من كبار زعماء المشركين في مكة كان قد حلف ليقتلن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فقال " بل أنا أقتله إن شاء الله " ، فلما كان يوم أحد أقبل أبي مقنعا في الحديد وهو يقول : "لا نجوت إن نجا محمد " فحمل على رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد قتله فاستقبله مصعب بن عمير موقياً رسول الله صلى الله عليه واله وسلم بنفسه فقتل. [٧٦]

وتروي ام عمارة نسيبة بنت كعب حادثة ايثارها للرسول (ص) في يوم احد فتقول: " خرجت أول النهار وأنا أنظر ما يصنع الناس ، ومعى سقاء فيه ماء ، فانتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو في أصحابه ، والدولة والريح للمسلمين . فلما انهزم المسلمون ، انحزت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقمت أباشر القتال ، وأذب عنه بالسيف ، وأرمى عن القوس ، حتى خلصت الجراح إلى ، قالت : فرأيت على عاتقه جرحا أجوف له غور ، فقلت : من أصابك بهذا ؟ قال: ابن قمئة ، أقمأه الله ! لما ولى الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل يقول : دلوني على محمد ، فلا نجوت إن نجا ، فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير ، وأناس ممن ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فضربني هذه الضربة فلقد ضربته على ذلك ضربات ، ولكن عدو الله كان عليه درعان " .[٧٧]

وهذه المواقف تاتي ضمن جملة مواقف كثيرة سجلت في يوم احد الذي يمكن اعتباره يوم الاختبار الحقيقي لسرائر المسلمين وما مدى صدق اعتقادهم وحبهم للرسول الاعظم (ص) واستعدادهم للتضحية دونه، وما مدى ايمانهم لان المؤمن لايعرف الا حين تعرضه للشدائد والاختبارات او كما قال تعالى {أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ } [٧٨]

وفي الوقت الذي ابدى فيه عدد من المسلمين حالة من الانهزام تجاه الهزيمة التي تعرضوا لها امام المشركين ، الا اننا نجد في مقابل ذلك مواقف متميزة ورائعة من عناصر اثبتت للاسلام اولاً اخلاصها وللتاريخ ثانياً عندما جعلت التاريخ بكل ثقله يقف متحيراً ومتعجباً امام تلك المواقف في أي صورة يصفها واي كلمات يستخدمها ليعبر من خلالها عن عظيم تلك المواقف ، ونحن اذ نقف مع التاريخ موقف العجب فاننا في الوقت نفسه نقف رافعين رؤوسنا امام الانسانية بأن الاسلام العظيم قد انشأ هكذا افراد يستلذون بطعم الموت من اجل قائدهم ونبيهم (ص) ليبقوا خالدين مع خلود الاسلام .

وفي هذا الجانب طالعتنا مصادر التاريخ بالايثار الحقيقي الذي ابداه الامام علي بن ابي طالب (ع) من اجل الرسول (ص) في معركة احد ففي رواية عبد الله بن عباس يقول :" حين انجفل عنه يوم أحد

في قوله تعالى: {إِذْ تُصْعِدُونَ وَلاَ تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غُمَّاً بِغَمٍّ لِّكَيْلاَ تَحْزَنُواْ عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ مَا أَصَابَكُمْ وَاللّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ } [٧٩] فلم يبق معه من الناس غير علي بن أبي طالب عليه السلام ورجل من الانصار فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : يا علي قد صنع الناس ما ترى ! فقال : لا والله يا رسول الله لا أسألك الخبر من وراء فقال له النبي: رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاحمل على هذه الكتيبة ، فحمل عليها ففضها ، فلم يزل امير المؤمنين (ع) يقاتلهم حتى اصابه في وجهه ورأسه وصدره وبطنه ويديه ورجليه تسعون جراحة فتحاموه وسمعوا مناديا ينادي من السماء " لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي، " فنزل جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : يا رسول الله إن هذه لهي المواساة فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إني منه وهو مني . فقال جبرئيل: وأنا منكما " [٨٠]

ب _ الايثار بالنفس من اجل العقيدة

العقيدة جزء لا يتجزأ من الوجود الانساني وبغض النظر عن صحة او بطلان العقيدة فان كل انسان لابد ان يكون محتاجا الى عقيدة يعيش معها وبها، والعقيدة ما يربط الانسان مع جماعته الانسانية هو العقيدة ، كما انها العنوان الذي تتحدد بموجبه شخصية الانسان ، ومن هنا فقد حرص الدين الاسلامي على اعطاء العقيدة مكانة خاصة واهتماماً بالغاً لانها تعبر عن الهوية الحقيقية للاسلام ، قال تعالى :{ وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } [٨١] وقوله تعالى : {مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ } [٨٢]

وقد فرض الله تعالى الجهاد على المسلمين دفاعا عن دينهم وعقيدتهم ، والجهاد في التشريع الاسلامي كما هو معروف انما يكون لغرض نشر الاسلام على اعتبار انه الدين العالمي قال تعالى: {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ } [٨٣].

وقد يسأل سائل هنا انه لماذا القول بالايثار لمن بذل نفسه من اجل الدين او العقيدة وهو في الاساس امر واجب عليه ، وجواب ذلك يرجع بنا الى تعريف الايثار الذي يرى تقديم منفعة الغير على منفعة النفس ، اذ كان من الممكن على اصحاب المواقف التي سنأتي على ذكرها لاحقاً ان يسلموا بانفسهم في حالات الخطر التي تعرضوا لها مع وجود المبرر لذلك ولكنهم قد اثروا مصلحة الاسلام على مصلحتم وهذا الامر يتطلب مجاهدة كبيرة قد لا تتوفر الا عند اشخاص محدودين ، ومن هذا المبدأ انطلقنا لبيان المواقف التي برز بها عنصر الايثار في حياة الصحابة من اجل العقيدة في عصر الرسالة .

وطالعتنا المصادر التاريخية ببعض المواقف التي ظهرت من بعض الصحابة فمن تلك المواقف التي اشارت اليها كتب السيرة هو موقف الصحابي المقداد بن عمرو عندما افصح عن ايثاره بكل ما يملك من اجل الاسلام ومقارعة المشركين اذ قام المقداد بن عمرو(في غزوة بدر) فقال " : يا رسول الله ، امض لما أراك الله فنحن معك ، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى : {قَالُواْ يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَداً مَّا دَامُواْ فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ } [٨٤] . ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم مقاتلون ، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد [٨٥] لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا ، ودعا له به" [٨٦] .

وكلمات المقداد هذه هي تعبير حقيقي لحالة الاستعداد والتهيؤ الروحي للايثار ، اذ انه وكما يبدو لمس من كلام الرسول(ص) ان هناك خشية لديه في موقف المسلمين اتجاه هذه المعركة ولذلك تصدى المقداد دون غيره من الصحابة ليعبر عن استعدادهم للتضحية من اجل الدين الاسلامي حتى لو كلفهم ذلك انفسهم ليتحقق الهدف الذي اراده (ص) .

اما الانصار فقد عبر سعد بن معاذ عن موقفهم في هذا الشأن عندما اظهر لهم رسول الله(ص) هذه الخشية ،قال ابن هشام : " ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أشيروا على أيها الناس . وإنما يريد الانصار ، وذلك أنهم عدد الناس ، وأنهم حين بايعوه بالعقبة ، قالوا : يا رسول الله إنا براء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا ، فإذا وصلت إلينا فأنت في ذمتنا ، نمنعك مما نمنع أبناءنا ونساءنا . فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخوف ألا تكون الانصار ترى عليها نصره إلا ممن دهمه بالمدينة من عدوه ، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو من بلادهم . فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال له سعد بن معاذ : والله لكأنك تريدنا يا رسول الله ؟ قال : أجل ، قال : فقد آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا ، على السمع والطاعة ، فامض يا رسول الله لما أردت ، فنحن معك ، فوالذي بعثك بالحق ، لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا ، إنا لصبر في الحرب ، صدق اللقاء ، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك ، فسر بنا على بركة الله . فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول سعد ، ونشطه ذلك ، ثم قال : سيروا وأبشروا ، فإن الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين ، والله لكأنى الآن أنظر إلى مصارع القوم ".[٨٧]

ومن تلك المواقف ايضاً موقف الصحابي الجليل عبد الله بن رواحة ، وذلك عندما نزل المسلمون معان من أرض الشام ، فبلغ الناس أن هرقل نزل أرض البلقاء ، في مائة ألف من الروم ، وانضم إليهم من لخم وجذام وغيرها من القبائل مائة ألف منهم ، فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على معان ليلتين يفكرون في أمرهم ، " وقالوا : نكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنخبره بعدد عدونا ، فإما أن يمدنا بالرجال ، وإما أن يأمرنا بأمره ، فنمضى له . قال : فشجع الناس عبد الله بن رواحة ، وقال : يا قوم ، والله إن التى تكرهون ، للتى خرجتم تطلبون ، الشهادة ، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ، ما

نقاتلهم إلا بهذا الدين الذى أكرمنا الله به ، فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنيين : إما ظهور ، وإما شهادة . قال : فقال الناس : قد والله صدق ابن رواحة ، فمضى الناس " [٨٨] .

والذي يقرأ هذه الرواية يلمس وبشكل واضح جداً ان هناك حالة من الرعب والخوف قد انتابت السواد الاعظم من هذا الجيش في وقت كان ينتظر منه ان يكون على درجة اكبر من الاستعداد والتهيؤ لمواجهة هكذا عدو لا ينتظر منه الا محاربة الاسلام والسعي الحثيث للقضاء على دولته التي رفعت لواء القضاء على كل مواطن الكفر وامبراطورياته ، ولكن بالرغم من ذلك فاننا نجد ان بعض المسلمين قد اظهروا مواقف بطولية كبيرة دلت على استعدادهم للايثار بانفسهم من اجل الدين الاسلامي الذي يرون فيه الكرامة والعزة ، خاصة وانهم في خروجهم هذا انما يطلبون الشهادة او النصر وهذا الموقف ظهر واضحا من خلال كلام الصحابي عبد الله بن ابي رواحة . اذ انه كان قد بقي على عهده الاول الذي قطعة مع الرسول(ص) عند خروجهم من المدينة ، وقد اعطى هذا الخطاب الحماسي منه جرعة معنوية لبقية الجيش فاختاروا به طريق القتال لتحقيق احدى الحسنيين :النصر او الشهادة .

وكان للقران الكريم دور في اظهار المواقف التي دلت على الايثار بالنفس ومنها مواقف الامام علي بن ابي طالب (ع) وما كان منه من جهاد وبذلٍ للنفس في سبيل الاسلام ، فجعل من جهاده وايثاره بنفسه امراً لا يقاس به او يساويه امرٌ اخر وهذا ما صرحت به الاية الكريمة : {أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ يَسْتَوُونَ عِندَ اللّهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } [٨٩] اذ اشار المفسرون على ان هذه الاية نزلت بحق الامام علي بن ابي طالب (ع) ، فيروى انه تفاخر جماعة في افضلية الاعمال التي يقومون بها من سقاية الحجيج وحجابة البيت وعمارته وكان علي (ع) حاضراً فقال : " أنا افضل آمنت قبلكم ثم هاجرت وجاهدت فرضوا برسول الله صلى الله عليه وآله حكما فانزل الله " أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام إلى قوله عنده اجر عظيم " ... ثم وصف علي بن ابي طالب عليه السلام {الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ }اثم وصف ما لعلي عليه السلام عنده فقال {يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ }[٩٠] [٩١].

وفي هذه الايات إشارة إلى الفريق المفضول بسقايته للحاج وعمارته للمسجد الحرام ، ولكن هناك فريقاً فاضلاً وهم الجامعون بين الإيمان والهجرة والجهاد بالأموال والأنفس أعظم درجة عند الله وأحق بما لديه من الخير من تلك الطائفة المفتخرة بأعمالها وفي قوله عند الله تشريف عظيم للمؤمنين والإشارة بقوله أولئك إلى المتصفين بالصفات المذكورة هم الفائزون أي المختصون بالفوز عند الله ثم فسر ذلك الفوز بقوله يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم والتنكير في الرحمة والرضوان والجنات للتعظيم وهذا يعني انها فوق وصف الواصفين وتصور المتصورين والنعيم المقيم الدائم المستمر الذى لا يفارق صاحبه وذكر الأبد بعد الخلود تأكيد له فأعطاهم الله سبحانه هذه الأجور العظيمة لكون الأجر الذى عنده عظيم . [٩٢]

ويلاحظ ان الباري سبحانه حكم في الآية المتقدمة بأن الصنفين لا يستوون بين ذلك في الآية الأخيرة واوضحه فعدد الإيمان والهجرة والجهاد بالمال والنفس وحكم على أن أهل هذه الخصال أعظم درجة عند الله من جميع الخلق ثم حكم لهم بالفوز برحمته ورضوانه والفوز بلوغ البغية أما في نيل رغبة أو نجاة من هلكة لأن أصحاب هذه الخصال على سيوفهم انبنى الإسلام وتمهد الشرع . (٩٣)

والذي يفهم من هذه الاية القرانية ان الايثار بالنفس الذي عبرت عنه بالايمان والهجرة والجهاد بالنفس هو من مراحل الايثار العظيمة والكبيرة ، لان الانفاق من اجل عمارة البيت او لسقاية الحاج انما هي مراحل قد ينفق فيها الانسان امواله ويبذل جهدا جسديا من اجل القربة الالهية، الا انها لا تصل الى ما يصل اليه الايثار بالنفس كون الانسان يقدم نفسه في سبيل عقيدته ودينه والجود بالنفس اقصى غاية الجود.

ومن مظاهر الايثار بالنفس ما ذكره الطبري في تفسير قوله تعالى : {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً } (٩٤) قال " زعم أنس بن مالك قال : غاب أنس بن النضر، عن قتال يوم بدر ، فقال : غبت عن قتال رسول الله (ص) المشركين ، لئن أشهدني الله قتالا ، ليرين الله ما أصنع فلما كان يوم أحد ، انكشف المسلمون ، فقال : اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء المشركون ، وأعتذر إليك مما صنع هؤلاء ، يعني المسلمين ، فمشى بسيفه ، فلقيه سعد بن معاذ ، فقال : أي سعد إني لاجد ريح الجنة دون أحد . فقال سعد : يا رسول الله فما استطعت أن أصنع ما صنع ، قال أنس بن مالك : فوجدناه بين القتلى ، به بضع ثمانون جراحة ، بين ضربة بسيف ، وطعنة برمح ، ورمية بسهم ، فما عرفناه حتى عرفته أخته ببنانه ... " .(٩٥)

ان الذي يفهم من الروايات والايات القرانية ان الصحابة(رض) قد قدموا اغلى ما يملكون وهو النفس التي حرم الله سبحانه وتعالى التفريط والافراط بها كونها امانة وضعها الباري عز وجل عند الانسان :قال تعالى {وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلاَ يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً } (٩٦) واصبح لزوماً عليه ان يحفظها ويرعاها ويصونها ولا يضعها الا في المواضع المحترمة ، ولعل من اهم تلك المواضع هو موضع الجهاد في سبيل الله تعالى لإن بالجهاد تحفظ النفس المحترمة وتحيا الامم وتصان الاوطان .

وبذل النفس في سبيل الله تعالى لايمكن ان يعد نهاية لوجودها كما قد يُظن بل هو حياة لها وخلود قال تعالى : {وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ } (٩٧) وقوله تعالى :{ فَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُواْ وَقُتِلُواْ لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَاباً مِّن عِندِ اللّهِ وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ }(٩٨) وقوله تعالى: {وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقاً حَسَناً وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ } (٩٩) وقوله تعالى : { وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ } (١٠٠) وبهذا فقد جعل الباري سبحانه وتعالى لمن يبذل نفسه في سبيله المقام الرفيع والحياة الابدية التي تبدأ مع نهاية الحياة الدنيا، وتتمثل هذه

المقامات بـ تكفير السيئات ودخول الجنات و والرزق الحسن والهداية في الاعمال ، ولانتصور ان هناك عنوانات اعم واشمل لمعنى الحياة من هذه العنوانات .

١ – ان الايثار خلق اسلامي رفيع المقامدعا اليه المشرع الاسلامي – القران والسنة النبوية – واستطاع ان يثبت اركانه في الوسط الاجتماعي الاسلامي وهو ظاهرة اريد بها محاربة الاخلاقيات الفاسدة التي كانت تسود هذا المجتمع في زمن ما قبل البعثة النبوية المشرفة وما نتج عن هذه الاخلاقيات من ترسبات واضحة المعالم في العصر الاسلامي ، خاصة ظاهرة الفردية والانانية والتكبر فجاء الايثار ليقف بوجهها ، وليحل محلها محاسن الاخلاق وافاضلها .

٢– استطاع خلق الايثار ان ينتقل بالفرد المسلم نقلة نوعية من المجال الضيق للانفاق الذي يقتصر على المستوى الفردي (النفس – العيال) او اضيق من ذلك ، الى مجال اوسع بذلك من كثير ، عندما انطلقت مجالات الانفاق في كل مفصل من مفاصل المجتمع فاصبحت اخلاقية تقديم المصلحة العامة على المصلحة الفردية جزءاً لايتجزأ من شخصية الفرد المسلم ، وهو في مجمله نجاح للجهود الكبيرة التي بذلها الرسول الاعظم (ص) في قيادة المجتمع وفق التعاليم والمبادئ الاسلامية .

٣– ان الهدف الذي انطلق من اجله الايثار هو سد ثغرات الحاجة والفاقة التي تظهر في المجتمع بين حين واخر ، وقد تبين من خلال هذا البحث بان الحروب حققت اهدافها نتيجة ايثار الصحابة باموالهم ، وان الفقراء والمساكين والاسرى والمحتاجين قد سدوا فاقتهم وفقرهم نتيجة للايثار الذي ابداه المخلصون من ابناء مجتمعهم ، بمعنى ان الهدف الذي وضع لاجله الايثار قد تحقق وباعلى المستويات .

٤– استطاع الايثار في عصر الرسالة ان يقضي على بعض الفوارق الطبقية بين الفقراء والاغنياء ، مما اوجد حالة من التوازن الاجتماعي ، عندما وجدنا ان الاغنياء قد يؤثرون الفقراء من ابناء مجتمعهم بكل ما يملكون بل بأثمنه واغلاه .

٥ – لم يتوقف امر الايثار على مستوى الاموال فقط ، بل تعداه الى مستويات متنوعة وحسب المورد وطبيعة الموقف ، فتعدى ذلك ليشمل الطعام والملابس والمنازل ، وهذا يدل دلالة واضحة على توثق وترسخ هذه الظاهرة داخل المجتمع الاسلامي بشكل كبير .

الهوامش

١–ابن منظور ، لسان العرب ، مادة أثر.

٢– الرازي مختار الصحاح ، مادة أثر، ابراهيم مصطفى واخرون، المعجم الوسيط ،ص٥ .

٣- الطريحي ،مجمع البحرين ،مادة اثر .
٤- الشريف الجرجاني ،التعريفات،ص٣٢ .
٥- محمد قلعجي ،معجم لغة الفقهاء،ص٩٨ .
٦- احمد فتح الله ،معجم الفاظ الفقه الجعفري، ص٤٣ .
٧- شرح نهج البلاغة، ٢٤٥/٦ .
٨- يوسف٩١ .
٩- الدخان٣٢
١٠- ابو هلال العسكري ، الفروق الفردية،ص٨٧ .
١١- المدثر٢٤
١٢- الباقلاني ، اعجاز القران ،ص٣٠ .
١٣- النازعات٣٨
١٤- الفيض الكاشاني، التفسير الصافي ،٢/ ١٤٠٣.
١٥- يوسف٩١
١٦- الطبري ، جامع البيان ،٧٣/١٣ .
١٧- الحشر٩
١٨- الطبري ، جامع البيان، ٥٣/٢٨.
١٩- الأعلى١٦
٢٠- ابن كثير ،التفسير ، ٥٤٥/٤ .
٢١- طه٧٢
٢٢- السيوطي ،الدر المنثور ، ٣٠٣/٤ .
٢٣- عبد الرحمن بن قدامه ،الشرح الكبير ،٧١٦/٢؛ المحقق الكركي،جامع المقاصد،١٣٣/٩ .
البهوتي كشف القناع ،٣٤٢/٢ .
٢٤- ابن قدامه، الشرح الكبير،٧١٦/٢ .
٢٥- البهوتي، كشف القناع ،٢٥١/٦. البقرة ١٩٥ .
٢٦- الحر العاملي، وسائل الشيعة،٤٣٢/٩-٤٣٣
٢٧- الحر العاملي، وسائل الشيعة ،٤٣٢/٩
٢٨- الحر العاملي، وسائل الشيعة ،٢٩٩/٦ ؛ الميرزا النوري، مستدرك وسائل الشيعة، ٢١١/٧
٢٩- الشوكاني، نيل الاوطار، ٣/ ٣٠٧
٣٠- الانفال ٧٢
٣١- التوبة٢٠
٣٢- التوبة٤١
٣٣- التوبة٤٤
٣٤- التوبة٨١
٣٥- التوبة٨٨
٣٦- الحجرات١٥

٣٧- الصفوري الشافعي ، نزهة المجالس ،٢/ ١٦٨

٣٨- ابن الفتال النيسابوري وروضة الواعظين ،ص١٤٢؛ المجلسي ،بحار الانوار، ٨٠/١٦ .

٣٩- المجلسي ،بحار الانوار،٢٤٩/٧١

٤٠- الضحى/ ٨

٤١- البلاذري ،انساب الاشراف،ص٢٠٤

٤٢- الواحدي النيسابوري،اسباب النزول،ص٢٥١ ؛ ابن كثير ،البداية والنهاية، ٣/ ٢٨٠

٤٣- السيرة النبوية ، ١١٩/٤

٤٤- اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٦٧/٣

٤٥- المغازي، ٣٨٠/٢ ، والوسق : نوع من المكاييل، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة وسق .

٤٦- البقرة٢٦٢

٤٧- جامع البيان، ٨٧/٣

٤٨- الريشهري، ميزان الحكمة، ١١٨/١

٤٩- الحشر ٩

٥٠- الميرزا النوري، المستدرك ،٧/ ٢١٥

٥١- المستدرك، ٢١١/٧

٥٢- الحشر٩

٥٣- الإنسان٨

٥٤- ينظر: القرطبي ، الجامع لاحكام القران، ١٢٧/١٩؛ ابن طاووس، سعد السعود، ص١٤١ الحاكم الحسكاني،شواهد التنزيل،٤٠٦/٢ ؛المحقق الاردبيلي ؛ مجمع الفائدة،٩/ ٢٠٠ ؛ الشوكاني ، فتح القدير،٣٤٧./٥

٥٥- الانسان/١٢-١٧ ، باقر شريف القرشي ،حياة الامام الحسين(ع) ،٧٦/١ ؛ ينظر كذلك: محمد حسين الحاج ،حقوق ال البيت، ص.٢٠٩

٥٦- محمد حسين الحاج ، حقوق ال البيت، ص٢٠٩.

٥٧- المحقق الاردبيلي، زبدة البيان ،ص٣٨٤.

٥٨- المباركفوري، تحفة الاحوذي ،٢٥/٧.

٥٩- ابن كثير ،البداية والنهاية ،٤٠٠/٢.

٦٠- الذهبي ، سير اعلام النبلاء ،٣١٨/١.

٦١- ابن كثير،البدية والنهاية، ٣٢٧/٢ .

٦٢- ابن كثير،البدية والنهاية، ٢/ ٣٢٧ .

٦٣- الحشر٩ .

٦٤- الصدوق ، الامالي، ص٣٠٥ ؛ المحب الطبري ،ذخائر العقبى، ص٥١ .

٦٥- ابن الفتال النيسابوري ، روضة الواعظين ،ص٤٤٤ ؛ ابن شهراشوب المازندراني، المناقب ، ١٢١./٣

٦٦- آل عمران١٤.

٦٧- ابن شهراشوب، المناقب ، ص٥٨٠ .

٦٨- ينظر : عبد الرزاق الصنعاني، تفسير القرآن ، ٢/ ٢٥٩ ؛ ابن الجوزي، زاد المسير ، ٣/ ٢٣٦ ، ابن كثير، تفسير ابن كثير ، ٢/ ٣١٥، الثعالبي – تفسير الثعالبي ج ٣/ ١٢٧ .

٦٩- الحويزي ، تفسير نور الثقلين – ج ٢ ص ٢١٨ .

٧٠- البقرة٢٠٧

٧١- ابو حامد الغزالي ،احياء علوم الدين ، ٢٣٨/٣ ؛ ينظر كذلك ابو حمزة الثمالي ،تفسيره،ص١١٧؛ الطبرسي، مجمع البيان ،٥٧/٢؛ الحافظ بن البطريق ،خصائص الوحي المبين ، ص١٢؛ الحاكم الحسكاني ، شواهد التنزيل ،١٢٣/١ ؛ ابن الدمشقي ، جواهر المطالب ، ٢١٧/١.)

٧٢- ابن كثير ،السيرة النبوية ، ٢٣٧/٢؛ الحاكم الحسكاني، شواهد التنزيل ، ١/ ١٢٩ .

٧٣- القرطبي ، تفسير القرطبي ، ١٨ /٢٧، الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد ،٢٠٤/٤ . وابو طلحة هو زيد ابن سهل الانصاري من بني النجار شهد مشاهد رسول الله (ص) كلها مات سنة ٣٢هـ . ينظر بن سعد ، الطبقات الكبرى ،٥٠٤/٣؛ خليفة بن خياط ،الطبقات ، ص١٥٦ .

٧٤- . ابن كثير، السيرة النبوية، ٣ / ٥٢-٥٣ .

٧٥- ابن هشام ، السيرة النبوية ، ٣ /٦٠٠ .

٧٦- ابن كثير ، تفسير ابن كثير، ١ /٤٢٤، السيرة النبوية ،٦٣/٣ .

٧٧- الواقدي ، المغازي، ٢٣٠/١ ؛ ابن هشام، سيرة النبوية ، ٣ / ٥٩٩-٦٠٠ . ونسيبة بنت كعب ام عمارة الانصارية من بني مازن ممن اشترك في بيعة العقبة الثانية ، ينظرعنها : الطبري ، تاريخ الطبري ،٩٢/٢ .

٧٨- العنكبوت٢

٧٩- آل عمران١٥٣

٨٠- علي بن ابراهيم القمي ،تفسير القمي ،١١٦/١ ؛ فرات بن إبراهيم الكوفي ، تفسير فرات الكوفي /٩٧ ؛ الطبرسي ،تفسير مجمع البيان ،٢ / ٣١١ ، تفسير جوامع الجامع ، ٣٤٢/١ ؛ محمد بن علي الطبري ، بشارة المصطفى، ص ٢٨٨.

٨١- البقرة ٢١٧ .

٨٢- يوسف٤٠.

٨٣- البقرة١٩٣ .

٨٤- المائدة٢٤ .

٨٥- برك الغماد : موضع على خمس ليال من مكة الى جهة اليمن ، ينظر جعفر مرتضى ، الصحيح من السيرة، ١٢٦/٣.

٨٦- الواقدي، المغازي، ٦٠/١-٦١ ؛ ابن هشام ، السيرة النبوية ،٢ / ٤٤٧؛ ابن سيد الناس ، عيون الاثر، ٣٢٧/١؛ ابن كثير، السيرة النبوية، ٣٩٢/٢، البداية والنهاية، ٣٩٨/٣-٣٩٩؛ الصالحي الشامي، سبل الهداية والرشاد، ٢٦/٤ .

٨٧- ابن هشام السيرة النبوية ،٢ / ٤٤٧ .

٨٨- ابن هشام ، السيرة النبوية، ٣ /٨٣١ . ومعان : مدينة في طرف بادية الشام تلقاء الحجاز من نواحي البلقاء ، ينظر ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ١٥٣/٥ .

٨٩- التوبة١٩ .

٩٠- لتوبة٢٠-٢١ .

٩١- العياشي ،تفسير العياشي ، ٢ / ٨٣ ؛ علي بن ابراهيم القمي، تفسير القمي ،١ /٢٨٤.

- الطبرسي، تفسير مجمع البيان ، ٥ / ٢٧ .

– عبد الرزاق الصنعاني، تفسير القرآن ، ٢/ ٢٦٩ ؛ الطبري، جامع البيان ، ١٠/ ١٢٤ . ؛ النحاس معاني القرآن، ٣/ ١٩٢ ؛ ابن كثير، تفسير ابن كثير ، ٢/ ٣٥٥ .

٩٢– الشوكاني فتح القدير ٢ / ٣٤٥ .

٩٣– الثعالبي – تفسير الثعالبي ، ٣/ ١٧٠.

٩٤– الأحزاب٢٣.

٩٥– جامع البيان ، ٢١ ، ١٧٧ ؛ ينظر :الواحدي النيسابوري، اسباب النزول، ٢٣٨؛ ابن الجوزي، زاد المسير، ١٩٢/٦؛ القرطبي، التفسير، ٢٢١/٤ .

٩٦– الإسراء٣٣ .

٩٧– آل عمران١٦٩ .

٩٨– آل عمران١٩٥ .

٩٩– الحج٥٨ .

١٠٠– محمد٤ .

المصادر

– ابراهيم مصطفى واخرون، المعجم الوسيط ،الطبعة السادسة ،مؤسسة الصادق ،طهران١٤٢٩هـ .

- احمد فتح الله ،معجم الفاظ الفقه الجعفري، الطبعة الاولى ، الدمام ١٩٩٥ .

– باقر شريف القرشي ،حياة الامام الحسين(ع) ،الطبعة الاولى ، مطبعة الاداب ، النجف الاشرف ١٩٧٤.

– البلاذري، احمد بن يحيى (٢٧٩هـ) ،انساب الاشراف ، تحقيق محمد باقر المحمودي، الطبعة الاولى ، مؤسسة الاعلمي ، بيروت ١٩٧٤.

– البهوتي ، منصور بن يونس(١٠٥١هـ)، كشف القناع، تحقيق محمد علي بيضون، الطبعة الاولى، دار الكتب العلمية،بيروت ١٩٩٧.

– الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد (٨٧٥هـ) ، تفسير الثعالبي ،تحقيق علي محمد معوض واخرون ،الطبعة الاولى، دار احياء التراث العربي ، بيروت ١٩٩٧.

– ابن الجوزي، ابو الفرج عبد الرحمن بن علي(٥٩٧هـ)، زاد المسير، تحقيق محمد عبد الرحمن عبد الله،الطبعة الاولى، دار الفكر بيروت١٩٨٧.

– الحافظ ابن البطريق، شمس الدين يحيى بن الحسن(٦٠٠هـ) ،خصائص الوحي المبين، تحقيق مالك المحمودي، الطبعة الاولى ، دار القران ، قم ١٤١٧هـ.

– الحاكم الحسكاني، عبيد الله بن احمد (ق٥هـ)،شواهد التنزيل لقواعد التفصيل، تحقيق محمد باقر المحمودي، الطبعة الاولى، مجمع احياء الثقافة الاسلامية، طهران ١٩٩١ .

– خليفة بن خياط العصفري(٢٤٠هـ) ، الطبقات ، تحقيق سهيل زكار ،دار الفكر ، بيروت ١٤١٤هـ

– ابو حامد الغزالي، محمد بن محمد (٢٥٥هـ) ،احياء علوم الدين

– ابن ابي الحديد المعتزلي(٦٥٦هـ) ، شرح نهج البلاغة ،تحقيق ابو الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ١٩٥٩.

– الحر العاملي، محمد بن الحسن(١١٠٤هـ)، وسائل الشيعة ، تحقيق مؤسسة ال البيت (ع) ،مؤسسة ال البيت لاحياء التراث، قم ١٤١٤هـ .

– ابو حمزة الثمالي،ثابت بن دينار(١٤٨هـ) ،التفسير، جمعه عبد الرزاق محمد حرز الدين، الطبعة الاولى ، دار الهادي، قم ١٤٢٠هـ.

– الحويزي، عبد علي بن جمعة العروسي ، تفسير نور الثقلين، تصحيح هاشم الرسولي، مؤسسة اسماعيليان، قم ١٤١٢هـ .

– ابن الدمشقي،محمد بن احمد بن ناصر(٨٧١هـ) ، جواهر المطالب ،تحقيق محمد باقر المحمودي،الطبعة الاولى، مجمع احياء الثقافة الاسلامية، قم المقدسة١٤١٥هـ .

– الرازي، محمد بن ابي بكر بن عبد القادر (٧٢١هـ) مختار الصحاح ،تحقيق احمد شمس الدين ، الطبعة الاولى ،دار الكتب العلمية، بيروت د.ت .

– الريشهري، ميزان الحكمة ، الطبعة الاولى ، دار الحديث ، قم ١٤١٦هـ .

– ابن سعد ، محمد البصري (٢٣٠هـ) ، الطبقات الكبرى ، دار صادر ، بيروت د. ت .

– ابن سيد الناس محمد بن عبد الله بن يحيى (٧٣٤ هـ)، عيون الاثر ، مؤسسة عز الدين ، بيروت ١٩٨٦.
–الشريف الجرجاني، علي بن محمد(،التعريفات،الطبعة الاولى، دار احياء التراث، بيروت٢٠٠٣ .
– الشوكاني،محمد بن علي(١٢٥٠هـ)، فتح القدير، عالم الكتب د.ت .
– نيل الاوطار، دار الجيل بيروت ١٩٧٣ .
– ابن شهراشوب المازندراني، ابي عبد الله محمد بن علي(٥٨٨هـ)، مناقب ال ابي طالب ، المطبعة الحيدرية، النجف الاشرف ١٣٧٦هـ .
– ابن ابي شيبة الكوفي(٢٣٥هـ) ،المصنف ،تحقيق محمد سعيد اللحام،دار الفكر، بيروت١٤٠٩هـ .
– الصالحي الشامي ،محمد بن يوسف(٩٤٢هـ) ، سبل الهداية والرشاد، تحقيق عادل احمد عبد الموجود، الطبعة الاولى، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٩٣.
– الصدوق، ابوجعفر محمد بن علي بن الحسين القمي(٣١٨هـ) ، الامالي،تحقيق قسم الدراسات مؤسسة البعثة ،الطبعة الاولى ،قم١٤١٤هـ .
– الصفوري الشافعي ، عبد الرحمن بن عبد السلام ، نزهة المجالس ومنتخب النفائس ، مطبعة علي صبيح ،القاهرة د.ت .
– ابن طاووس، رضي الدين ابي القاسم علي بن موسى الحسيني(٦٦٤هـ)، سعد السعود، الطبعة الاولى ، المطبعة الحيدرية ، النجف الاشرف ١٩٥٠ .
– الطبرسي،ابو علي الفضل بن الحسن(٥٦٠هـ) تفسير مجمع البيان ،تحقيق محسن الامين العاملي، مؤسة الاعلمي ،بيروت ١٩٩٥ .
تفسير جوامع الجامع، الطبعة الاولى ، مؤسسة النشر الاسلامي ،قم ١٤١٨هـ .
– الطبري جامع البيان ،تحقيق صدقي جميل العطار ،دار الفكر، بيروت ١٩٩٥ .
– الطريحي،فخر الدين ١٠٨٥هـ ، مجمع البحرين ،تحقيق احمد الحسيني، ط٢، قم د.ت .
– عبد الرزاق الصنعاني ،بن همام الصنعاني(٢١١هـ)، تفسير القرآن ، تحقيق مصطفى مسلم محمد ،مكتبة الرشد الرياض د.ت .
– علي بن ابراهيم القمي،ابي الحسن(ق ٣–٤هـ)، تفسير القمي ،تصحيح الطيب الموسوي الجزائري،الطبعة الثالثة ، دار الكتاب ، قم ١٤٠٤هـ .
– العياشي، محمد بن مسعود السمرقندي(٣٢٠هـ)، تفسير العياشي، المكتبة العلمية ،طهران د.ت .
– الغزالي، ابو حامد محمد بن محمد (٥٠٥هـ) ، احياء علوم الدين ،دار المعرفة بيروت .د.ت .
– ابن الفتال النيسابوري،محمد(٥٠٨هـ) ، روضة الواعظين ، منشورات الرضي ، قم د.ت .
– فرات بن إبراهيم الكوفي(ق٤هـ) ، تفسير فرات الكوفي ، الطبعة الاولى، طهران ١٩٩٠.
– القرطبي،محمد بن احمد(٦٧١هـ)، الجامع لاحكام القران، دار احياء التراث العربي، بيروت ١٩٨٥ .

– ابن قدامه، عبد الله بن محمد بن احمد(٦٢٠هـ)، الشرح الكبير، دار الكتاب العربي ، د.ت .
– ابن كثير،ابو الفداءاسماعيل(٧٧٤هـ) تفسير ابن كثير، تقديم يوسف عبد الرحمن مرعشلي ، دار المعرفة ،بيروت ١٤١٢ .
السيرة النبوية، تحقيق مصطفى عبد الواحد ، دار المعرفة ،بيروت ١٩٧١ .
البداية والنهاية، تحقيق علي شيري، الطبعة الاولى ،دار احياء التراث العربي ، بيروت١٩٨٨ .
– مالك بن انس (١٧٩هـ) ،كتاب الموطأ ،تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط١، دار احياء التراث، بيروت١٤٠٦هـ .
– المباركفوري،محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم(١٣٥٣هـ)، تحفة الاحوذي، الطبعة الاولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت١٩٩٠ .
– المجلسي ،محمد باقر(١١١١هـ) ،بحار الانوار، تحقيق مؤسسة الوفاء، الطبعة الاولى ، بيروت ١٤١٧هـ .
– المحب الطبري،احمد بن عبد الله (٦٩٤هـ) ،ذخائر العقبى،مكتبة القدسي ، القاهرة١٣٥٦هـ .
– المحقق الاردبيلي،احمد بن محمد(٩٤٣هـ)، زبدة البيان ، تحقيق محمد الباقر البهبودي' المكتبة الرضوية ، طهران .
– مجمع الفائدة ، نشر جماعة المدرسين قم المقدسة د.ت .
– المحقق الكركي، علي بن الحسين (٩٤٠هت)جامع المقاصد،الطبعة الاولى، مؤسسة ال البيت (ع) لاحياء التراث ،قم ١٤٠٨هـ ..
– محمد حسين الحاج ، حقوق ال البيت، الطبعة الاولى ١٤١٥هـ .
– محمد بن علي الطبري(ق٦هـ) ، بشارة المصطفى، جواد القيومي الاصفهاني،الطبعة الاولى ،مؤسسة النشر الاسلامي ،قم المقدسة ،١٤٢٠هـ .
–محمد قلعجي ،معجم لغة الفقهاء، الطبعة الثانية ،دار النفائس ، الرياض١٩٨٨ .
–ابن منظور،محمد بن مكرم (٧١١هـ) ، لسان العرب ،الطبعة الاولى، دار احياء التراث العربي،بيروت د.ت .
– الميرزا النوري،حسين (١٣٢٠هـ) مستدرك الوسائل ،الطبعة الاولى ،مؤسسة ال البيت (ع) لاحياء التراث ،بيروت١٩٨٧.
– النحاس، ابو جعفرالمصري(٣٣٨هـ)، معاني القرآن ،تحقيق محمد علي الصابوني ، الطبعة الاولى ،مكة المكرمة١٩٨٨ .
– ابن هشام ،عبد الملك الحميري (٢١٨هـ)، السيرة النبوية ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ،مصر ١٩٦٣.

– ابو هلال العسكري،الحسن بن عبد الله (ق٤هـ) ، الفروق الفردية ،الطبعة الاولى ، مطبعة النشر الاسلامي ،قم١٤١٢هـ.
– الواحدي النيسابوري،ابي الحسن علي بن احمد (٤٦٨هـ)، اسباب النزول ، موسسة الحلبي ، القاهرة ١٩٦٨ .
– الواقدي، محمد بن عمر (٢٠٧هـ)، المغازي ،تحقيق ماردسن جونسين ، دار المعارف، القاهرة١٩٦٤ .
– اليعقوبي، احمد بن ابي يعقوب (٢٩٢هـ)، تاريخ اليعقوبي ، دار صادر ، بيروت د.ت .

Altruism at the Age of the Prophet's Mission

Abstract

The research tries to shed light on one important ethical side in the life of Muslims under the control of the greatest prophet(God's blessing and peace be upon him), which is altruism. Its importance in this age and in the following ages springs from the problems and challenges, which the Muslims face nowadays and in the past. This requires that they pay attention to such an issue coming from the greatest figure and the heritage of the greatest nation in history.

The research tackles the linguistic meaning of altruism and its meaning in conventional usage. It traces the Quran verses that mention the word 'altruism' or its derivatives. After that it discusses the conditions Alsharia stipulates to achieve altruism. It studies the manifestations of altruism at the age of the Prophet's mission like altruism via cash money or gifts, and altruism via self, which is divided into two main types: altruism of the self for the sake of the Prophet, like the Companions preferring of the Prophet to themselves, or preferring cult or religion to the self.